الفصل السادس والستون

الالهة والتقرب اليها

لا نملك ـ ويا للأسف ـ نصوصاً جاهلية فيهـا وصف لطبائع الآلهة ، ولا أساطير فيها شيء على رأي أهل الجاهلية في أخلاق أربابهم . ولهـذا صار مرجعنا وسندنا في تكوين صورة عن طبائع الآلهة وأخلاقها ، دراسة وتفسير أسماء الآلهـة ونعوتها التي نعتت بها ، لاستخراج شيء منها يعيننا على تكوين هذه الصورة .

وتفسير أسماء الآلهة ومعرفة أصولها وجذورها ، عملية ليست سهلة يسيرة، بسبب جهلنا بمعاني بعض تلك الأسماء ، وعدم وقوفنا على أصولها التي اشتقت منها، لأن اللهجات التي دوّنت بها ، لا تزال بعيدة عن مداركنا ، ولأن قواعد نحوهـا وصرفها تختلف بعض الاختلاف عن قواعد وصرف عربيتنا ، ونحن لا نملك اليوم المؤهلات الكافية ، للحكم في تلك اللهجات حكمنا في عربيتنا .

واسم الإلـه هو صفة في الغالب ، ألبسها الزمن بمضي الوقت لباس العلمية ، فعدت اسماً علماً ، فإذا استطعنا الرجوع الى أصول وجذور هذه الأسماء الصفات، نكون قد استنبطنا شيئاً عن طبائع تلك الآلهة من صفاتها المذكورة ، ونجحنا بعض النجاح من تكوين رأي عن تلك الديانات الجاهلية .

هنالك أسماء مثل (ال) (ايل) ، يجد الباحثون صعوبة في الاتفاق على تعيين أصولها ، وضبط معانيها ، وهناك أسماء واضحة جليّة ظاهرة ، تدل عـلى أشياء معروفـة محسوسة ، مثل (شمس) و (ورخ) بمعنى قمر ، و (عثتر) ، و (الشعرى العبور) و (نجم) ، و (ثريا) وأمثال ذلك من أسماء تشير الى

أشياء مادية ، هي كواكب ونجوم ، يستدل منها على وجود عبادة الأجرام السماوية عند الجاهليين . وهناك أسماء ، هي نعوت في الواقع ، لا تدل على ظواهر حسية وإنما تعبر عن أمور معنوية ، مثل (ودّ) بمعنى (حبّ) و (رضى) ،و(سعد) ، و (حكم) ، و (نهي) ، و (صدق) ، و (رحمن) ، و (رحم) (ها ــ رحم) (الرحيم) ، و (سمع) ، (سميع) ، و (محرمم) (محرم) ، وأمثال ذلك من ألفاظ ، هي نعوت ، جرت بين الناس مجرى الأسماء . وعلى هذه الصفات الأسماء سيكون جلّ اعتمادنا في استنباط الصورة التي نريد تكوينها عن طبيعة آلهة العرب الجنوبيين .

وعلينا ان نضيف على ما تقدم الأعلام المركبة المضافة للأشخاص ، مثل (عبد ود) ، و (عبد مناف) ، و (عبد شمس) ، و (عبد يغوث) ، و (امت العزى) (أمة العزى) ، فالكلمات الثانية من الاسم ، أسماء أصنام . وفي تركيب الاسم على هذا النحو ، دلالة على تذلل الانسان تجاه ربه ، واعتبار نفسه عبداً له ، وفيه تعبير عن صلة الأشخاص بربهم ، أضف اليها الأعلام المركبة تركيباً إخبارياً ، مثل (ودم ابم) ، أي (ود أبٌ) أو (أبٌ ود) ، ففي هذا التركيب دلالة على حنو الإلٰه على المؤمنين به ، واشفاقه عليهم، إشفاق الأب على أولاده .

ودراسة الأمور المذكورة ، هي مصدر مهم ، بل هي تكاد في هذا اليوم ان تكون المصدر الوحيد لفهم ذات الآلهة وادراك شخصيتها ، ولفهم تطور الدين على مر العصور والأجيال ، وكيف تطور الدين عند الجاهليين الى يوم ظهور الاسلام .

هذا ، ونجد في النصوص العربية الجنوبية المتأخرة ، أسماء آلهة لا نجد لها موضعاً في النصوص العربية الجنوبية المتقدمة ، واختفاءً لأسماء الآلهة القديمة التي كانت لامعة ساطعة في سماء الألوهية عند العرب الجنوبيين قبل الميلاد . ونجد أسماء آلهة قبائل تعبد عند قبائل أخرى مع معبوداتها القديمة،وأسماء آلهة كانت لامعة شهيرة ، تحولت الى آلهة صغيرة . وفي كل هذه الملاحظات دلالة على حدوث تطور في الحياة الدينية عند الجاهليين ، وعلى تأثر العقائد بمؤثرات داخلية وخارجية،فأحدثت هذا التطور الذي نبحث عنه .

ومن بين أسماء الآلهة ، أسماء مركبة ، استهلت بـ (ذ) ، أو بـ (ذت) . و (ذ) ، بمعنى (ذو) في عربيتنا ، و (ذت) بمعنى (ذات) . و (ذ) للمذكر ، و (ذت) للمؤنث ، أما الكلمات التالية ، فهي صفات . فجملة (عثتر ذ قبضم) ، تدل على إلَه ذكر ، اسمه (عثتر ذو القبض) (عثتر ذو قبض) ، أو (عثتر القابض) بتعبير أصح . وجملة (ذ شقرن) ، و (ذ صهرم)[1] ، و (ذ عذبتم) ، و (ذ يسرم)[2] ، و (ذ امر وشمر)، أي الآمر الناهي[3] ، و (ذ انبي) ، هي جمل تشير الى إلَه ذكر ، لوجود (ذ) علامة التذكير فيه . وجملة (ذت حمم) ، و (ذت بعدن) ، و (ذت برن) ، و (ذت غضرن) ، و (ذت رحبن) ، و (ذت صهرن) ، و (ذت صنتم) ، و (ذت ظهرن) ، تشير الى آلهة إناث ، لوجود (ذت) (ذات) في الاسم . ومعنى هذا ان العرب الجنوبيين كانوا قد جعلوا الآلهة كالانسان اناثاً وذكوراً . وهو ما ورد في القرآن الكريم عن أهل مكة وبعض قبائل الحجاز ، من قوله تعالى : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون »[4]، ومن قوله : « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون »[5] . وقوله تعالى: « واصطفى البنات على البنين »[6] ، و « أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين »[7] ، و « أم له البنات ولكم البنون »[8] . وقد ذكر علماء التفسير انه « لا ينبغي ان يكون لله ولد ذكر ولا أنثى . سبحانه نزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا اليه ونسبوه من البنات ، فلم يرضوا بجهلهم اذ أضافوا اليه ما لا ينبغي اضافته اليه ، ولا ينبغي أن يكون له من الولد ان يضيفوا اليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها ولكنهم أضافوا اليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها اذا كانت لهم »[9] . وذكروا « ان مشركي قريش كانوا يقولون : الملائكة بنات الله ،

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

---

١ Rep. Epigr. 504.
٢ REP. EPIGR. 2831, 4688.
٣ Handbuch, I, S. 244.
٤ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ٥٧ .
٥ الصافات ، الرقم ٣٧ ، الآية ١٤٩ .
٦ الصافات ، الرقم ٣٧ . الآية ١٥٣ .
٧ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ١٦ .
٨ الطور ، الرقم ٥٢ ، الآية ٣٩ .
٩ تفسير الطبري (٨٣/١٤) ، روح المعاني (١٥٦/١٤) .

وكانوا يعبدونها »[1] . وقد وبخهم القرآن الكريم على قولهم هذا،واستخف بأحلامهم وبما قالوه جهلاً وحماقة .

وذكر علماء التفسير أن كفّار قريش قـالوا : « الملائكة بنات الله . فسأل أبو بكر من أمهاتهن ؟ فقالوا سروات الجن . يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه إبليس »[2]. وإنهم قالوا : « ان الله وابليس اخوان » ، وان بين الله وبـين الجنة نسباً[3] . ولم يذكر علماء التفسير من قال هذا القول من كفّار قريش . ولا كيف صارت الملائكة بناتاً لله ، او كيف اصطفى الله له البنات ، ولِمَ فضلهن على البنين ، إذ لم يذكروا ان أهل الجاهلية نسبوا له ولداً ذكـراً ، ولم يذكروا هل اختار الله البنات اختياراً من خلقه ، أو من زواج ؟ وقد رأيت ان روايـة نسبت الى قريش قولهم إن امهـات الملائكة سروات الجن ، وذلك حين سألهم أبو بكر من أمهاتن[4] .

ولا نجد في نصوص المسند إشارة الى زواج الآلهة ، والى وجـود بنات لها . وما قلناه من وجود آلهة ذكور ، وآلهة أناث ، هو استنباط من وجود علامـة التذكير (ذ) وعلامة التأنيث (ذت) في أسماء الآلهـة . أما موضوع زواج القمر بالشمس ، وظهور ولد ذكر منه هو (عثتر) . فهو من استنباط علماء العربيات الجنوبية ومن آرائهم الـتي استخلصوها من دراستهم للنصوص . فليس في المسند أي شيء عنه . وليس في المسند ، أي شيء عن دين العرب الجنوبيين ، وعـن أساطيرهم في الآلهة وفي الخلق ، ولا عن صلواتهم وأدعيتهم وكل ما يتعلق بالدين من أمور .

وكل اسم ورد في المسند استهل بلفظة (ذت)،(ذات) ، فيراد به الشمس، وهي إلهة ، وكل لفظة بدأت بـ (ذ) ، (ذي) ، فإنها تعني إلهاً ، هو القمر أو عثتر . فنحن أمام ثالوث سماوي ، يمثل عقيدة الجاهليين في الآلوهيـة ، كما يمثل عقيدة الساميين عموماً . والثالوث السماوي هو نواة الألوهية عند جميع الساميين، ومنه انبثقت عقيدة التوحيد فيما بعد .

---

١ تفسير الطبري (٢٣/٦٧ وما بعدها) ، روح المعاني (٢٣/١٣٥) .
٢ تفسير الطبري (٢٣/٦٩) .
٣ المصدر نفسه .
٤ تفسير الطبري (٢٣/٦٩) .

وعثتر ، هو (النجم الثاقب) المذكور في القـرآن الكريم[1] . وقـد ذهب المفسرون الى ان العرب كانت تسمي الثريا النجم . وذكـر بعض منهم ان النجم الثاقب هو زحل . والثاقب الذي قد ارتفع على النجوم[2] . وذكر بعض آخـر ان النجم الثاقب هو الجدي[3] . وأقسم في موضع آخر من القرآن الكريم بـ (النجم)[4]. وقد ذهب المفسرون الى ان النجم الثريا[5] ، ونحن لا يهمنا هنا اختلاف علـماء التفسير في تثبيت المـراد من النجم ، انما يهمنا ان المـراد به نجم من النجوم . فنكون أمام ثالوث معبود : هو الشمس والقمر والنجم الثاقب ، الذي هو (عثتر) في نصوص العرب الجنوبيين .

وقد ذكر ان العرب تعبدت للشمس وللقمر ، وان طائفة منها ، تعبدت لكواكب أخرى مثل الشعرى ، حيث تعبدت لها خزاعة وقيس ، ومثل (سهيل) ، حيث تعبدت لها (طيء) . و (عطارد) ، وقد تعبّد له (بنو أسد) . و (الأسد) ، وقد تعبد له بعض قريش . و (الدبران) ، وقد تعبدت له (طسم) . و (الزهرة) ، وقد تعبد لها أكثر العرب . و (زحل) ، وقد تعبد له بعض أهل مكة . حتى ان من الباحثين من زعم ، ان (الكعبة) كانت معبداً لزحل في بادىء الأمر . وتعبد للمشتري قوم من لخم وجذام[6] .

ونجد في الكتابات العربية الجنوبية جملة : (ودم ابم) ، أي (ودٌ أب) و (ابم ودم) ، أي (أبٌ ود) . كما نجد جملة : (ولد ود) و (اولد ود) (اولد هو ود) ، أي (اولاد ود) بمعنى (شعب معين) . وتعبر الجمل الأولى عن معنى ان الإلـه (ود) ، هو إلـه شفيق رحيم عطوف عـلى الإنسان ، هو بالنسبة له بمنزلة الأب من الابن . فهو (أب) للإنسان لا بالمعنى الحقيقي بالطبع ، أي بمعنى ان الانسان انحدر من صلبه ، بل بالمعنى المجازي الذي أشرت اليه . وبهذا المعنى نفسر جملة : (أولاد ودّ) تعبيراً عن معنى (شعب

---

١ سورة الطارق ، رقم ٨٦ ، الآية ٣ .
٢ تفسير الطبري (٣٠/٩١) .
٣ تفسير القرطبي ، الجامع (٢٠/١) .
٤ سورة النجم ، الرقم ٥٣ ، الآية ١ .
٥ تفسير الطبري (٢٧/٢٤) .
٦ Johann Ernest Oslander, Studien über die Varislamische Religion der Araber, in ZDMG., 1853, S. 463 - 505, Grohmann, S. 81.

معين) ، فالإلـه (ود) هو أب هذا الشعب يحميه ويدافع عنه ويعطف عليه . وبهذا المعنى وردت أيضاً جملة (ولد عم) عند القتبانيين و (ولد المقه) عند السبئيين . فـ (عم) الذي هو (القمر) في لغة القتبانيين ، هو بمنزلـة الأب لشعبه ، وكذلك (المقه) ، الذي هو (القمر) في لهجة سبأ[1] .

وقد عبّر عن الشمس بلفظة (هـ الت) ، أي (الإلهة) في النصوص العربية الشمالية[2] . وقيل لها (نكرح) في النصوص المعينية ، و (ذت حمم) (ذات حمم) (ذات حميم) في النصوص السبئية ، كما قيل لها (ذت بعدن) و(ذت غضرن) ، و (ذت برن) ، و (ذت ظهرن) ، في هذه النصوص كذلك . وقيل لهـا (ذت صنّم) و (ذت صهرن) و (ذت رحبن) في النصوص القتبانيـة[3] . ومن الممكن التعرف على بعض هذه الأسماء التي أريد بها الشمس . فـ (ذت حمم) ، بمعنى (ذات حمم) ، و (ذات حميم) . وقد وردت لفظة (حميم) و(يحموم) في القرآن الكريم[4] . والحميم الحار الشديد الحرارة ، المتقد من شدة الحرّ الساخن الشديد السخونة[5] . وقـــد ذكر علماء التفسير أن (اليحموم) ، دخان حميم ، ودخان شديد السواد يخرج من نار جهنم[6] . فمعنى (ذت حمم) ، إذن ، الإلهة ذات الحرارة الشديدة المتقدة المهلكة ، التي تلفح وتحرق . والشمس ، نفسهـــا حارة ، ملتهبة متقدة . لذلك يكون الناس قد أخذوا صفتها هذه منها . فأطلقوها عليها ، وصاروا ينعتونها بها ، ويخيفون الناس منها ، بانتقامها منهم إن خـالفوا أمرها وعملوا عملاً يثير غضبها عليهم .

ويقابل هذه الإلهة ذات الحميم ، الإلـه (الـ حمون) (حمون) و (بعـــل حمون) عند الساميين الشماليين . فهذا الإلـه الذكر عند الساميين الشماليين ، بسبب ان لفظة (الشمس) ، نفسها مذكرة عندهم ، هو ذو حميم وحما،أي ذو سخونة وحماوة وشدة حرارة[7] . وقـــد نعت عندهم بالنعت الذي نعت بـــه عند العرب

---

١ Handbuch, I, S. 217, D. Nielsen, Der Sabaische Gott Ilmukah, S. 61.
٢ Handbuch, I, S. 224.
٣ Handbuch, I, S. 224, 260.
٤ الواقعة ، الرقم ٥٦ ، الآية ٤٣ .
٥ تاج العروس (٧/٢٥٩ وما بعدها) ، (حمم) .
٦ تفسير الطبري (٢٧/١١٠ وما بعدها) .
٧ Handbuch, I, S. 225.

الجنوبيين . فهو إلـه ذو حرارة مفزعة ، وحميم لا يوصف . وقـد استمد هـذا الوصف من الطبيعة بالطبع . فالشمس مبعث الحرارة على هذه الأرض ، يدرك الانسان حرارتها في كل مكان . فهي اذن (ذت حمم) حقاً .

وعرفت الشمس بـ (اثرت) في كتابات قتبانية ، ومعناها : (اللامعة) ، أو الشديدة اللمعان بعبارة أصح والمتوهجة . فهي في معنى (ذت حمم) . وعرفت أيضاً بـ (ذت اثر) ، (ذات أثر) ، وبـ (ربت اثر) ، (ربة أثر)[1] . ونجد في النصوص النبطية الإلهة الشمس وقد عرفت بـ (ربت الاثر) بمعنى ربة التوهج ، مما يدل على ان (اثرت) ، و (ذت اثر) ، و (ربت أثر) ، في القتبانية هذه الإلهة الشمس[2] .

وقد يعبر عن (الشمس) بـ (الفرس) . والفرس من الحيوانات التي قدسها قدماء الساميين . وقد كان العرب الجنوبيون يتقدمون بتماثيل الخيل، تقرباً الى الآلهة. ومنها الإلهة (ذت بعدن) (ذات البعد) ، أي البعيدة ، وهي الشمس[3] .

وأما (عثتر) ، الذي هو (الزهرة) ، فيرد اسمه في نصوص عربية جنوبية كثيرة . ولاسمه هذا صلة بأسماء بعض الجاهليين الواردة الينا ، مثل : (أوس عثت) بمعنى (عطية عثتر) و (لحيعثت) (لحى عثت)[4] .

وفي الكتابات العربية الجنوبية أسماء يظن انها تخص الإلـه (عثتر) . منها : (ذ قبضم) ، و (ذ يهرق) ، و (ذ جفت) ، و (ذ جرب) ، و(جرب) ، و (متب نطن) ، و (متب قبت) ، و (متب مضجب) ، و (يهر) و (بر) وغيرها[5] .

وقد عرف (عثتر) بـ (الشارق) في الكتابات ، فورد (عثـتر شرقن) أي (عثتر الشارق) . وعرف بـ (شرقن) فقط . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن المراد من (شرقن) بمعنى الطالع من الشرق ، أو (عثـتر المشرق) . وهو تفسـير رده بعض آخر من الباحثـين ، إذ رأوا أن (شرقن) ، بمعنى

---

١ Handbuch, I, S. 226.
٢ Handbuch, I, S. 226.
٣ Handbuch, I, S. 227.
٤ Handbuch, I, S. 228.
٥ Handbuch, I, S. 228.

(الشارق) . وهي لفظة ترد في اللهجات العربية الشمالية[1] . وقد سبق لي أن بينت رأي المفسرين في (النجم الثاقب) المذكور في القرآن الكريم ، وقلت باحتمال المراد به هذا الكوكب،وان ذهبوا الى انه الثريا أو زحل أو الجدي . و(الشارق) صنم من أصنام الجاهليين تسمى به عدد من أهل الجاهلية،سموا بـ (عبد الشارق)[2] قد يكون رمزاً لهذا الإلـه .

وورد في بعض كتابات المسند : (ذ غربم) ، و (عثتر ذ غربم) أي (الغارب) و (عثتر الغارب) . ومعنى ذلك (نجمة الغروب) ، أو (نجمة المساء) ، و (كوكب المساء) ، في مقابل (نجمة الصباح) و (كوكب الصباح)[3] .

وورد (عثتر نورو) ، و (نورو) ، أي (عثتر نور) ، (نور)[4] . ونور صفة من صفات الله في الاسلام . (الله نور السماوات والأرض . مثل نوره). ولفظة (نورو) ، هي نعت من نعوت (عثتر) . وورد (سحرن) ، بمعنى السحر . والسحر ، قبيل الصبح وآخر الليل ، فيراد بذلك (كوكب السحر) ، أي الكوكب الذي يطلع عند طلوع السحر . كما ورد (متب نطين) ، أي (الحامل للرطوبة) ، وورد (عثتر قهحم) ، أي (عثتر القدير) و (عثتر القادر) و (القاهر) ، و (سمعم) ، أي (السميع) ، و (نوبم) و (نبعن)[5] و (يغل) (يغلن) بمعنى المدمر ، والمنتقم . وقد ورد هذا النعت في أحجار القبور بصورة خاصة . وذلك لتذكير من يحاول تغيير الحجر أو أخذه من موضعه أو تدميره أو إلحاق أذى به ، أو الاستفادة منه في أغراض أخرى ، بأنه في حماية إلـه قدير منتقم[6] .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن الإلـه (رضى) (رضو) الذي يرد في النصوص الثمودية والصفوية ، هو الإلـه (عثتر) . وهو صنم ذكره أهل الأخبار ، لكنهم لم يذكروا شيئاً عن صلته بالكواكب ولا عن المعبود الذي يمثله[7] .

---

١ Handbuch, I, S. 228, Fell, in ZDMG., 54, (1900), S. 231 - 259.
٢ تاج العروس (٣٩٣/٦) ، (شرق) .
٣ Arabien, S. 245.
٤ سورة النور ، الآية ٣٥ ، تفسير الطبري (١٠٤/١٨) ، (١٤٤/١٨).
٥ Rep. Epigr. 4194.
٦ Arabien, S. 245.
٧ Handbuch, I, S. 229.

وقد ورد في الأخبار المتعلقة بـ (الرها) ان أهل هذه المدينة ، كانوا يعبدون الشمس ويعتقدون بوجود إلـه يطلع قبلها اسمه (أزيزوس) Azizos ، وإلـه يظهـر بعدها ، يسمى (مونيموس) Monimos . وذهب الباحثون الى ان (أزيزوس) ، هو (عزيز) . وهو نجم الصباح ، ويطلع قبل طلوع الشمس. ويمثل (رضى) (رضو) ، و (عثتر) . ويرد اسم (رضى) في الكتابات التدمرية كذلك[1] . و (عزيز) (العزيز) من صفات الله في الاسلام .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان الصنم المنحوت على شكل طفل هو رمـز لـ (عثتر) ، أي (رضى) (رضو) ، و (عزيز) . وقد حفر على شكل طفل عاري الجسم في الكتابات التدمرية . أما الشمس والقمر ، فقد مثلا انسانين كاملين . ونجد هذا التصور للآلهة في الديانات الفطريـة ، التي استمدت ادراكها لكُنه الآلهة عن مظاهر الطبيعة[2] .

ولعلّ تصور الجاهليين الإلـه (رضو) على هيأة طفل ، هو الذي يحلّ لنا المشكلة الواردة في أخبار (نيلوس) Nilus عن تقديم العرب Saracens قرابين أطفالاً لكوكب الصباح . ذكر (نيلوس) أن العرب سرقوا ابنه الجميل الصغير (ثيودولس) Théodulus ، وقرروا تقديمه قرباناً لكوكب الصباح . وقد قضى الطفل ليلة تعسة صعبة ، فلما طلع الكوكب ، وحان وقت تقريب الطفـل قرباناً له ، نام مختطفوه ، ولم يستيقظوا إلا وقد طلعت الشمس ، وفات وقت القربان، وبذلك نجا الطفل من الهلاك[3] . وقد تفسر جملة « إننا نقدم لك قرباً يشبهك » الواردة في دعاء عثر على نصه في (حرّان) قصة تقديم الأطفال الجميلة قرابين الى هذا الإلـه[4] .

وقد أشار كتاب يونان الى تعبد العرب الى الشمس والقمر وكوكب الصباح، وهي أجرام سماويـة تراها العين . ذاكرين أن العرب لا يتعبدون لآلهة روحيـة لا يبصرونها بأعينهم . ولهذا تعبدوا لهذه الأجرام المادية وللأحجار[5] .

---

١ Handbuch, I, S. 229.

٢ Handbuch, I, S. 231.

٣ Handbuch, I, S. 203, Nili Opera, Tomus, 79, 1865, in Migne, Patrologia, Series Graecaca.

٤ Handbuch, I, S. 231.

٥ المصدر نفسه .

وأما (مونيموس) Monimos ، فإنه (منعم) . و (منعم) من صفات الله في الإسلام . فالله هو (المنعم) المتفضل على عباده العزيز المقتدر .

وذهب بعض الباحثين الى أن الصنم (ذو الخلصة) المذكور في كتب أهل الأخبار ، والذي كان له بيت يدعى : (الكعبة اليمانية) ، ويقال له (الكعبة الشامية) أيضاً ، والذي هدم في الاسلام ، هو تعبير آخر عن الصنم (عثتر) ، أي الإلـه المكون مع القمر والشمس للثالوث[1] .

ويظن ان (ملك) اسم آخر من أسماء (عثتر) . وقد تسمى به رجل عرف بـ (عبد ملك) . كما ورد اسم (عبد ملكا) في النصوص النبطية والإرمية ، بمعنى (عبد الملك)[2] . ويرد اسم (ملك ال) (ملك ايل) كثيراً في الكتابات الثمودية . كما ورد في كتابة من الكتابات القتبانية (مختن ملكن)[3] . وقد ظن ان لفظة (ملك) تعني ملكاً ، أي رئيس حكومة ملكية ، فترجمت جملة (مختن ملكن) بـ (مختن الملك) ، أي ملك قتبان . غير ان هذه الترجمة وإن كانت ترجمة مقبولة ، إلا انها غير دقيقة . ولو ترجمت لفظة (ملكن) بمعنى (الملك) ، على انه اسم إلـه لكانت الترجمة أدق وأصح . فنحن نجد النص القتباني الذي وردت فيه جملة (مختن ملكن) يقول : « بنى الملك ورمّ معبد ودّ واثرت ومختن ملكن) ، أي « بنى الملك ورمّ معبد ود وأثرت ومختن الملك» ، ولو ترجمناها على هذه الصورة : « بنى الملك ورم معبد ود وأثرت ومعبد الإلـه الملك » ، كانت الترجمة أنسب وأقبل . ويجب ان نتذكر ان الله هو : الملك ، في الاسلام ، وان (عبد الملك) ، وهو من أسماء المسلمين كذلك يعني : عبد الله . وان (الملكوت) من الملك مختصة بملك الله . ورد في القرآن : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض »[4] .

ومن الممكن فهم الصلة بين لفظة (ملك) التي تعني إلـه ، وبين لفظة (ملك) المالك على الأرض ، أي الملك الدنيوي . فالإلـه مالك ، والملك مالك أيضاً ، مالك شعبه . ومن هنا فلا غرابة اذا ما رأينا عقيدة تقديس الملوك عند الشعوب

---

١ Handbuch, I, S. 232.
٢ Handbuch, I, S. 232
٣ Hommel, Aufs., S. 206.
٤ تاج العروس (١٨١/٧) ، (ملك) .

القديمة ، واعتبار بعضها ملوكها من نسل الآلهة . فالآلهة قوة خارقة، والملوك قوة مسيطرة مهيمنة ، تفعل في القديم ما تشاء بغير حساب ، وهي ألسنة الآلهة الناطقة على الأرض ، فلا بد وان تكون للآلهـــة اذن صلة بالملوك ، ولا بد وان يكون لملوك الأرض نسب وان تكون لهم قرابة بالآلهة . وقد فسر بعض الباحثين جملة: (ولد ود) ، التي نعت بها أحد ملوك قتبان ، تفسيراً بهذا المعنى ، تفسيراً يعبر عن اعتقاد القوم ، بأن ملوكهم هم من نسل الإلـه (ود)[1] . ولكني أرى اننا لو فسرنا لفظة (ولد) بالمعنى المجازي ، أي ولد الإلـه ود على سبيل المجاز ، بمعنى ان الإلـه منه بمنزلة الوالد من الولد ، في العطف والود ، فإن هذا التفسير يكون مقبولاً أكثر من تفسير الولد المتسلسل من صلب الإلـه ود .

الآلهة :

توصلنا من دراساتنا المتقدمة ، الى أن الآلهة كالبشر ذكوراً وأناثاً . وتوصلنا منها الى أن القمر ، هو مذكر عند جميع العرب على اختلاف لهجاتهم ، وأما (الشمس) ، فهي أنثى عندهم . وأما (النجم) ، الذي هو (عثتر)، فهو ولد ، عند العرب الجنوبيين . وعلى ذلك فنحن أمام ثالوث سمـــاوي يتألف من إلاهين ذكرين ومن إلاهة أنثى .

وقد عجزنا عن الإهتداء الى كيفية ظهور هذا الثالوث . أو العائلة الصغـــيرة المختارة المكونة من ذكرين وأنثى . لأننا لم نعثر على نص جاهلي أو غير جاهلي يتحدث عن كيفية ظهوره . وعجزنا عن التوصل الى علاقة أعضاء هذا الثالوث بعضهم ببعض ، وذلك لسبب مماثل ، هو عدم وجود نص لدينا يشرح لنا هذه العلاقة ! ولم نتمكن من العثور على أي مورد يشرح لنا كيفية ظهور هذه الآلهة، ولا سيما الإلـه (عثتر) الذي يعدّ ابناً للقمر وللشمس .

ولم نعثر ويا للأسف على نصوص جاهلية فيها بعض الشيء عن كيفية التقـــاء القمر بالشمس ، وفي كيفية طلوع (النجم) (عثتر) . فبينما نجـد في اللغات اليونانية والهندية واللاتينة تعابير عن التقاء الشمس بالقمر ، فيهـا معنى النكاح ،

---

١ Handbuch, I, S. 233.

نجد أنفسنا قد عجزنا عن الحصول على مثل هذه المصطلحات في النصوص الجاهلية، ولهذا لم نتمكن من تكوين رأي عن تصور الصلة التي كان يراها الجاهليون بين الشمس والقمر . وفي اليونانية والهندية وأساطير الشعوب الأخرى ، أن القمر اقترن بالشمس ، وتزوج بها ، وتغنت بذلك الزواج[1] .

وبالنظر لوجود الإلـه الذكر والإلهة الأنثى في نصوص المسند ، وفي مؤلفات أهل الأخبار ، فلا يستبعد احتمال مجيء يوم قد نعثر فيه على نصوص قد تتعرض الى اسطورة زواج القمر بالشمس . وفي عربيتنا لفظة (اقتران) نطلقها على اقتران الشمس بالقمر وعلى اقتران الكواكب بعضها ببعض ، وترد في كتب النجوم والأنواء . وفي هذه اللفظة معنى الازدواج .

إن هذه الأسطورة التي جعلت من الأجرام السماوية آلهة ، وحصرت الألوهية في ثلاثة أجرام منها في الغالب ثم زوجتها وأولدتها ، حولت هذا الزواج الى زواج حقيقي سماوي يشبه زواج الإنسان على سطح الأرض . زواج تكوّن من ذكر وأنثى ، من أب وأم ، انتج ولداً عند العرب الجنوبيين ، وولدين عند شعوب أخرى غير عربية هما كوكبا الصباح والمساء ، أو بناتاً هي الملائكة أو الجن عند فريق من الجاهليين .

ونجد الإلـه (القمر) يلعب دوراً كبيراً في الأساطير الدينية عند الجاهليين . دوراً يتناسب مع مقامه باعتباره رجلاً بعلاً أي زوجاً ، والزوج هو (البعل)، والرب والسيد وصاحب الكلمة على زوجه وأهله عند العرب . وهو القوي ذو الحق ، وعلى الزوجة حق الطاعة والخضوع له . وبناءً عل هذه النظرية جعل الإلـه القمر صاحب الحول والصول والقوة في عقيدة أهل الجاهلية في الأرباب . ومن هذا الإلـه القوي الجبار ، جاء (الله) بعد أن تحول الثالوث عند بعض الجاهليين الى (واحد) ، واستخلصوا منه عبادة (الله) .

وقد عرف القمر بـ (ثور) . ولعل ذلك بسبب قرنيه اللذين يذكران بالهلال . دُعي بهذه التسمية ، أي (ثور) في الكتابات[2] . وقد رمز الى الإلـه القمر بـ (ثور) عند شعوب سامية قديمة أخرى[3] .

---

١ Handbuch, I, S. 206. ff.

٢ Glaser 1546, Wiever Museum 5.

٣ Handbuch, I, S. 214, D. Nielsen, Altarabische Mondreligion, S. 110.

ونظراً لأن القمر هو الإلـه الذكر ، صار بمنزلة الأب . فدعي بـ (ابم) ، أي (أب) . ونعت بمحب ، فقيل له (ودم) (ود) ، لأنه يحب عبيده ويشفق عليهم . وهو (كهلن) ، أي القادر والقدير ، وهو (حكم) ، اي الحاكم والحكيم ، وهو (سمعم) ، اي السامع والسميع ، وهو (علم) ، اي العالم والعليم ، والبصير المبصر ، وهو (نهى) ، اي الناهي[1] ، وهو (صدق) الصادق الصديق المتعالي المنعم الكريم الى غير ذلك من نعوت عرف بها ورمز بها اليه في النصوص .

ويجب ان ننتبه الى ان الكتابات الجاهلية وكذلك أخبار أهل الأخبار ، قد نصّا على اسم الإلهة الشمس ، فدعوها باسمها ، اي الشمس . أما القمر ، فلا نجد لاسمه الخاص ذكراً يتناسب مع مقامه . نعم ذكر بـ (شهر) و (سين) في النصوص العربية الجنوبية . و (شهر) القمر في العربيات الجنوبية ، ولا زال الناس يسمونه بهذه التسمية في جنوبي جزيرة العرب . لكننا نجد أسماءه المأخوذة من النعوت ، اي من صفاته تطغى عليه . فهو (ود) في الغالب في النصوص المعينية . ويظن من لا علم عميق له بالعربيات الجنوبية ، انه اسم إلـه خاص ، بينما هو اسم من أسماء عديدة للإلـه القمر عند شعب معين ، وهو (المقه) ، اي المنير والنور عند السبئيين ، اي صفة للقمر . وهكذا قل عن باقي أسمائه ، فهي صفات له في الغالب ، لا اسم علم خاص به ، كما في حالة الشمس .

ونحن نجد هذه الظاهرة في روايات أهل الأخبار أيضاً . فبينما تنص أخبار أهل الأخبار على تعبد بعض العرب للشمس ، وعلى مخاطبتهم لها بـ (الإلاهة) وبـ (لاهة)[2] . وعلى تعبد بعضهم لزحل أو للمشتري أو لغيرهما من الأجرام السماوية كما تحدثت عن ذلك في موضع آخر ، لا نجد للقمر ذكراً في أخبار أهل الأخبار . فلم يشيروا الى اسمه ولا الى تعبد الجاهليين له ، حتى ليذهب الظن بعد تتبع جميع ما ورد في تلك الأخبار واستقصاءها استقصاءً تاماً ان الجاهليين لم يعرفوا عبادة القمر . والظاهر أن أهل الأخبار كانوا في جهل من عبادة الجاهليين للقمر ، بسبب ما شاهدوه من تعبد أهل مكة وغيرهم وكذلك القبائل الى الأصنام وتقربهم

---

١ Handbuch, I. S. 215, D. Nielsen, Neue Katabanische Inschriften, S. 15.

٢ ابن الاجدابي (٧٩) .

اليها ، وقولهم أنها تقربهم الى الله،وبسبب نص القرآن الكريم على تعبد الجاهليين وتقربهم للأصنام والأوثان . فذهبوا الى أنهم كانوا مجرد عبدة أوثان ولم يفطنوا الى أنهم اتخذوا الأصنام واسطة وشفيعة للآلهة التي هي أجرام سماوية في الأصل . أو لأن أهل الجاهلية القريبين من الإسلام ، كانوا قد ابتعدوا عن عبادة الكواكب ولم يعودوا يذكرونها ذكر أجدادهم لها ، واختصروا عبادتها ، بأن جعلوا من الثالوث إلهاً واحداً ، هو (الله) . فتقربوا اليه ، وعكفوا يتقربون اليه بالتقرب الى الأصنام والأوثان . وذلك باتخاذهم إياها رموزاً مشخصة وممثلة للإلـه على الأرض . فكان لكلّ قبيلة صنم يقربهم في زعمهم الى الله .

واذا أردنا تلخيص ما توصلنا اليه عن آلهة العرب الجنوبيين ، قلنا انهم تعبدوا كما ذكرنا لثالوث سماوي تألّف من القمر والشمس ومن عشتر ، وهو الزهرة في رأي معظم الباحثين . وقد عرف القمر بـ (ود) عند المعينيين ، وبـ (المقه) عند السبئيين ، وبـ (عم) عند قتبان ، وبـ (سن) (سين) عند حضرموت، وبـ (ود) عند أوسان . وعرفت الشمس بـ (نكرح) عند المعينيين،وبـ (شمس) عند السبئيين ، وبـ (اثرت) (اثيرت) عند القتبانيين ، وبـ (شمس) عند أهل حضرموت وأوسان . وعرف (عشتر) بـ (عشتر) عند المعينيين والسبئيين وعند قتبان وأهل حضرموت والأوسانيين[1] .

وقد رمز الفن العربي الجنوبي الى هذا الثالوث السماوي المقدس برموز. فرمز الى القمر بهلال نحت او نقش على الأحجار والأخشاب والمعادن . والهلال ، يشير بالطبع الى مطلع القمر في أول الشهر القمري . كما اشير اليه برأس ثور ذي قرنين . أما الشمس ، فقد صورت قرصاً او دائرة ، او كتلة او هالة ، والقرص ، صورة طبيعية لقرص الشمس ، التي تظهر في السماء قرصاً وهاجاً يبعث الحرارة والنور . وأما الزهرة ، فرمز اليها بصورة نجمة في النقوش العربية الجنوبية وبثمانية خيوط اشعاعية في النصوص البابلية[2] . وهي ذكر وولد عند العرب الجنوبيين .

---

١ A. Jamme, La Religion Sudarabe Preislamique, in M. Brillant et R. Aigrain, Histoire des Religions, IV, Paris, 1956, 239-307, G. Ryckmans, Les Religions Arabes Preislamiques, Bibliothèque de Muséon, 26, Louvian 1951, 25-64, G. Ryckmans, De Maangod in de Voorislami.

٢ Handbuch, I. S. 201, Grohmann, Göttersymbole, S. 37-44, H. Primy, Altorientalische Symbolik, Berlin, 1915, S. 75, 76, 142.

وقد هدم الإسلام عبادة الكواكب ، وحرم السجود للشمس وللقمر ، والصلاة لهما ، وحاول اجتثاث كل ما له صلة بتلك العبـادة ، فلم يبق اليوم من العرب من يتعبد للثالوث السماوي المقدس . ولكننا لا نزال نرى بعض العـوام يغضبون إذا سبّ أحدهم الشمس أو القمر ، ويتقرب الأطفال الى الشمس بأسنانهم التي يخلعونها ، لتعطيهم أسنان غزال ، أي اسناناً جميلة بيضاء ، الى غـير ذلك من أوابد يعرفها الأعراب .

وفي القرآن الكريم : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون »[1] . « فلم فاسجدوا وإياه فاعبدوا دونهما ، فإنه إن شاء طمس ضوءهما فتركـكم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلاً ولا تبصرون شيئاً »[2] . وقد خاطب الله قريشاً وغـيرهم بذلك ، مما يدل على أنهم كانوا يسجدون للشمس والقمر . ولعلهم كانوا يفعلون ذلك عند الشروق وعنـد الغروب . وقد ذكر (ابن كثير) في تفسيره الآية المذكورة ، ما يأتي : « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . أي ولا تشركوا به فما تنفعـكم عبادتكم له مع عبادتـكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به »[3] .

والسجود الخضوع ، ومنه سجود الصلاة ، وهو وضع الجبهة على الأرض ، والانحناء ، وسجد طأطأ رأسه . وكان النصارى يسجدون لأحبارهم ، أي سادتهم من رجال دينهم . و (المسجد) من الألفاظ المعروفة عند الجاهليين . وهـو البيت الذي يسجد فيه ، وكل موضع يتعبد فيه ، فهو مسجد[4] .

صفات الآلهة :

ومعظم أسماء الآلهة هو كما سبق ان ذكرت صفـات في الأصل ، استعملت

---

١ فصلت ، رقم ٤١ ، الآية ٣٧ .
٢ تفسير الطبري (٢٤/٧٧) .
٣ تفسير ابن كثير (٤/١٠٢) .
٤ قال حميد بن ثور :
فضـول أزمتهـا أسجـدت سجـود النصـارى لاحبارهـا
تاج العروس (٢/٣٧١) ، (سجد) .

استعمال الأسماء الأعلام . وهي كثيرة يتبين من دراستها ان الآلهة كالانسان ، تغضب وترضى ، تحب وتبغض ، قوية شديدة ، رؤوفة رحيمة شفيقة ، اذا رضيت عن انسان أسعدته في هذه الدنيا ، وإن غضبت عليه أهلكته، سميعة بصيرة حكيمة حليمة . باقية خالدة خلود الدهر ، بينما الانسان هالك .

ومن النعوت الواردة في نصوص المسند : (رحم) ، أي (رحيم) ، فالآلهة رحيمة بعبادها ، تغفر ذنوبهم وتصفح عن سيئاتهم ، وهي (حليمة) (حلم) ، سميعة (سمع) ، قديمة (كهلن) ، تحمي عبادها حماية الأب لأبنائه (احمى) ، ترضى عنهم رضاء الأب عن أولاده (اب رضو) . شفيقة بهم شفقة الأب بأبنائه (اب شفق) ، وتهتم بهم (اب شعر) ، وهي فخورة (ايل فخر) (الفخر) ، عالية سيدة العالم (ال تعلى) (ايل تعلى) ، (ايل تعالى) ، و (بعل) (بعلت)[1] .

ومن الصفات والنعوت التي أطلقتها النصوص الثمودية على الآلهة : (عم) ، بمعنى رحيم ورؤوف . و (سمع) ، بمعنى (سميع) ، و (رم بمعنى العظيم، و (الرامي) ، والكبير . و (ابتر) (أبتر) بالمعنى المفهوم من اللفظة في عربيتنا ، اي ، ليس له ولد[2] . ولهذه الصفة أهمية كبيرة بالنسبة لدارس الحياة الدينية وتطور فكرة الألوهية عند الجاهليين ، لأنها تشير الى ان صاحب النص الذي خاطب إلهه بقوله : (ه الهه ابتر) ، (ها إلّه ابتر) ، بمعنى (فيا الله الأبتر) ، اي الإلّه الذي لم يلد ولا ولد له ، كان يعتقد ان إلهه لم يلد أحداً ، فهو فرد واحد أحد . وقد وردت لفظة (ابتر) في نص ختم بهذه الجملة : (ه الهه ابتر بك سر لن)[3] ، اي : (فيا إلاه أبتر بك سرور لنا) . او بتعبير أوضح : (فيا إلهي أو إلاهنا الذي ليس له ولد . بك نسرّ) ، أو (فيا إلهنا أبتر بك سرور لنا) ، أو (أنت سرور لنا) .

والآلهة تساعد الناس وتعاونهم وتغيثهم . هذا نص ثمودي كتبه رجل من قوم ثمود ، توسل فيه الى إلهه أن يرسل المسرات (ميسر) ، الى من نزلت بهم

---

١ Arabien, 246.

٢ Hu 475, JSA 302, 305, 306, H. Grimme, S. 66.

٣ السطر الرابع من النص المذكور .

الدواهي من الناس . وان يعاون العاملين . (ذ اتا يعمل)[1] . وهذا نص آخر، كتبه شخص آخر ، وجهه الى الإلـه (رضو) ، يقول فيـه : (ه رضو ات عون عمل)[2] ، أي (يا رضو امنح العون لمـن يعمل) ، أو (يا إلهي رضو العون للعامل) .

والآلهة ضياء للناس ، تضيء لهم سواء السبيل ، تمنحهم نعمة الرؤية وترشدهم الى النور . هذا نص يقول : (الى ن ا م ت ض ي ل ن)[3] . فهـو يطلب من الإلـه أو من المعبد ، أن يضيء لكاتبي النص السبيل ، وأن ينقـذهم من الغفوة التي أصيبوا بها ، ليتجلى لهم الحق . وفي نص آخر: « بك ري نور تمت حيت»[4]، ومعناه « بك رأينا النور . وتمت الحياة » ، أو « بك نور . ضياء .. حياة»، أو ما شابه ذلك . فالإلـه هو نور لهذه الحياة ، وضياء للناس .

والله عالم بكل شيء ، ذو المعرفة والعلم . وقـد وردت صفة (ه ع ر ف) (ها عارف) (ها عرف) أي العارف في نص وسم بـ JSA 568[5] . وفي نص آخر ، وسم بـ Hu 626[6] . وهو العالم المحيط بكل شيء ، وقـد عبر عن هذه الصفة بلفظة (حصي) ، و (أحصى) بمعنى أحاط وأحصى كـل شيء عدداً[7] ، فالله محيط بكل شيء عالم لا يخفى على علمه شيء .

ووصفت الآلهة في النصوص الثمودية بأوصاف أخري ، مثـل (عبر) بمعنى (القدير) والقوي والمعتبر ، و (ذ عبر) ، (ذو عـبر) بمعنى ذو الحول والطول ، وذو القوة والقدرة . و (ذبر) ، وهي بهذا المعنى أيضاً[8] . وهـو (العوذ) ، (عوذ) ، والملجأ لكل إنسان[9] . وهو (العلي) ، وقد وردت جملة (عل رضو)، بمعنى (أعل رضو) ، وهي جملة تذكرنا بقول (أبو سفيان)

---

١ Hu 643/6, JSA 409, 504, Grimme, S. 33-34.
٢ Hu 643/6, Grimme 33.
٣ Grimme, S. 35, 41.
٤ Grimme, S. 41.
٥ Grimme, S. 37.
٦ Grimme, S. 42.
٧ تاج العروس (١٠/٩١) .
٨ Grimme, S. 44.
٩ Grimme, S. 44.

يوم معركة (أُحد): « اعلُ هبل ، اعلُ هبل » [1] . وإني أرجح أن لفظة (عل) في هذا النص ، تعني (على) ، أي حرف جر ، فيكون المعنى (على رضو الملجأ) ، و (على رضو المعولّ) .

ولم أعثر في النصوص الجاهلية على نعت يشير الى استخفاف أو حطة بالآلهة . فلم أجد إلهاً نعت فيها باللؤم أو بالسرقة ، أو بالاعتداء على الأعراض ، أو رمي بالحسد ، حسد النـاس أو حسد أمثاله من الأرباب ، كما لم أجد ما نجـده في الأساطير اليونانية من وجود فروق بين الآلهة ، وتباين بينها في المنزلة والمكانة ، بحيث نجد آلهة كبيرة غنية ، وآلهة ضعيفة فقيرة تحسد الأولى وتنقم عليها ، وآلهة تسرق وتنهب لحاجتها الى المال ولفقرها ، ولم أجد فيها التخصص الذي نجده في الآلهة اليونانية ، من وجود آلهة للبحار ، وآلهة للهواء ، وآلهة للحب ، وآلهة للخمر ، ونحو ذلك . وكل ما نجده عندهم ، هو وجود آلهة شعوب وقبائل، مثل ود إلـه شعب معين ، والمقه إلـه شعب سبأ ، وهبـل إلـه قريش ، وهكـذا نشأت من الظروف المحلية التي عاش فيها الجاهليون .

ولا أستبعد وجود (ميثولوجيا) أي أساطير عند الجاهليين ، تدور حول آلهتهم، فقد تحدثت عن رأي بعضهم في (الشعرى) ، ولكني أستبعد وجود أساطير دينية معقدة عندهم على شاكلة الأساطير اليونانية ، أو الأساطير المصرية أو الهندية ، لما بين الظروف المحيطة بالجاهليين وبين الشعوب المذكورة من فروق . والأساطير هي من حاصل المجتمع والظروف المتحكمة في الانسان .

وإذا وجدنا آلهة أهل الجاهلية على هذا النحو من الصفات المذكورة ، حساسة ذات حسّ مرهف ، تنفعل بسرعـة ، تغضب وترضى ، فيجب أن نعرف أن هذه الصفات ، تمثل خلق من أطلقها على أربابه ، فأرباب الناس من صنعهم ، هو الذي أوجد تلك الأصنام وسوّاها ، فما دام هو موجدها ، فلن تكون آلهتـه إلا على شاكلته ، إنها صورة صادقة له .

الثواب والعقاب :

وما يفعله الانسان من خير أو شر ، سيكون ثوابه وجزاؤه في هذه الدنيا .

---

١ Grimme, S. 44.

والآلهة ، هي التي تثيب وتعاقب . تثيب المتقي المتعبد لهـا المتقرب اليها بالنذور وبالبر بمعابدها ، فتعطيه مالاً وتبارك له في نفسه وفي أهله ، وتعطيه ذرية صالحة ذكوراً . وتنجيه من البلايا والآفات ومن الأوبئة والأمراض ، وترجعه سالماً معافى من الحروب ، تشفي جروحه اذا جرح ، وتغدق عليه بالنعم من غنائم الحرب . فهذا هو الثواب . ثواب في الدنيا وكفى .

أما العقوبة ، ففي الدنيا وحدها أيضاً ، وتكون بإنزال البلاء بمن يستحقه من الخارجين على أوامر الآلهة ، المتجاسرين على حرمة المعابد ، المارقين على النظام، المخالفين لسلوك المجتمع ، المتجاوزين على حقوق غيرهم . ومن البلاء الأمراض، من عمى وعور ، واصابة عضو من أعضاء الجسم بعطب ، والأوبئة . ونجد في النصوص توسلات الى الآلهة بأن تصيب من يغير النصوص المدونة الموضوعة شواخص على القبور ، ومن يتطاول على حرمة المقابر ، أو يدفن غريباً فيها بغير اذن ، بالعمى والعور ، لتجاوزه على حرمة القبور . وكان في روع أهل مكة وما حولها ان من يعرض للسائبة ، أو لحرمات الله ، أصابته عقوبة في الدنيا[1] . وعقوبات الدنيا أشد تخويفاً للأعرابي ، وأكثر وقعاً في نفسه من العقوبات المؤجلة في العالم الثاني ، ثم إن معظم أهل الجاهلية لا يؤمنون باليوم الثاني،ولا بحشر وبعث ونشر.

ولولا الثواب والخوف من العقاب في هذه الدنيا ، لما تقدم انسان وهو فقير بائس ، بأعز ما عنده الى آلهته ، على فقره وجوعه ، ليقدمه قربة اليه ، وهو في أشد الحاجة له ، ولما بنى الناس المعابد ، وتقدموا اليها بالهدايا والنذور، ولما ذكر رجل آلهته وتبرك باسمها ، ووضع ملكه في حمايتها ورعايتهـا ، ولعمّت الفوضى المجتمع ، وأكل بعضهم بعضاً ، ونهبوا المال . والخوف من العقوبة في هـذه الدنيا ، ساعد بالطبع كثيراً في ردع الأشرار عن غيهم ، وفي منعهم من الاعتداء على الحرمات ، كما ان الإثابة في هذه الدنيا حملتهم على عمل الخير، وعلى التقرب الى المعابد والعمل بأوامر رجال الدين ، لتحقيق رضى الآلهة ، وفي نيل رضاها كسب مادي وربح ملموس أكيد في هذه الحياة .

ولولا الأمل في الرضى والثواب ، والخوف من الآلهة ، لما جعل الناس أنفسهم عبيداً الى الآلهة . فسمّوا أنفسهم (عبد ود) و (امت العزى) (أمة العزى)،

---

١ تفسير الطبري (٥٩/٧) ، تفسير القرطبي (٣٣٦/٦) .

و (عبد يغوث) ، و (عبد مناة) ، وما شابه ذلك من أسماء دُعي أصحابها بها ، أملاً في العمر الطويل ، وفي التهرب من الموت . فقد كان الآباء والأمهات ينذرون نذراً ، انه ان ولد لهم مولود ، أخدموه إلهاً من الآلهة ، ودعوه عبداً له حتى يعيش . يفعل هذا الفعل من لا يعيش له مولود ، ومن يولد له مولود لكنه لا يعمر طويلاً ، بل يموت طفلاً أو في مقتبل العمر . فأمل الانسان في ان يضع الإلـه حمايته ورعايته للمولود ، دفعه على ركوب هذا المركب، لاقناع الآلهة بدفع الموت عن أبنائهم وحمايتهم منه .

ولدينا نصوص جاهلية عديدة ، تخبر عن تلبية الآلهة توسلات المتعبدين لها ، ووفائها لهم بما طلبوه منها . ففي نص ثمودي يخاطب انسان ربه (منف) (مناف) بقولـه : (سمعت منف)[1] ، أي (سمعت ندائي يا منـــاف) ، أي استجبت لندائي ، فوفيت لي يا إلهي مناف . وقد دوّنه حمداً له وشكـراً واعترافاً بفضله عليه . وفي نص آخر ،يخبر صاحبه انه برىء. وان ربه شفاه مما ألم به من مرض . فيقول (برات) ، أي (برأت)[2] ، و (برتن)[3] ، و (برتتن)[4] . وفي نص آخر يشكر انسان ربه (صلم)[5] . ولم يرد في النص السبب الذي حمل صاحب النص على شكر إلهه (صلما) ، لكننا نستطيع ان نحزر ، فنقول انـه طلب منه شيئاً ، فصار على نحو ما أراد فشكر إلهه لذلك . وفي نص آخـــر ، توسل من شخص الى إلهه (صلم) لكي يعينه في الفاجعة التي فجع بها[6] . وفي نص آخر، توسل الى إلهه لأن يمنحه : (خلود) ، أي الخلود ، بمعنى طول العمر[7] .

ومن التوسلات الجميلة التي وجههـــا الثموديون الى آلهتهم ، قول أحدهم : (بالهى امت) ، (بـ الهى اموت)[8] ، (بإلهي أموت) ، أو (في حب إلهي أموت) ، أو (في إلهي أفنى) . فهو يخاطب ربـــه . وقد ملأ قلبـــه العشق نحوه . العشق الإلهي الذي نقرأه في كتب المتصوفة، ونسمعه في تغاريدهم يخاطبون

---

١ Hu. 421, Eu. 775, Hu 505/37, H. Grimme, S. 58.
٢ Hu. 504/34.
٣ Hu. 497.
٤ JSA 503.
٥ « صلم شكر » ، JSA 17.
٦ Grimme, S. 34, 40.
٧ Grimme, S. 35, 41.
٨ Hu 255/20, Eu 250, Grimme, S. 66.

بها الله . ونجد هذا الحب الإلهي والهروب الى الله في نص ثمودي آخر، هذا نصه: (بم مرر . ب ل ه ى جرت . ب ل ه ى ام ت لبب ذ ه غ ث ت)[1] . أي (من مرّ . بإلهي استجرتُ . بإلهي أموت . اعطني لبك . يا مغيث) ، وبعبارة أوضح : (من مرّ) و (مر) اسم صاحب النص ، فهو يوجه نداءه الى ربه (استجرتُ بإلهي . وبإلهي أموت . اسمع ندائي يا من يغيث) ، أو (يا مغيث) . ففي هذه التوسلات وأمثالها رقة الشعور الديني ، والحس المرهف الذي يكون عند كبار المتصوفة في مناجاتهم الله .

التطاول على الأرباب :

وفي روع أهل الجاهلية ان من سب الأرباب أو تطاول في كلامه عليها، نزلت به قارعة . فلما أسلم (ضمام بن ثعلبة) السعدي أو التميمي ، وقدم على قومه ، (فكان أول ما تكلم به ، ان قال : بئست اللات والعزى . قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجـذام ، اتق الجنون . قال : انهما والله مـا يضران ولا ينفعان)[2] . ولمّا تحرش الرسول بالأصنام خوّفه المشركون من ان يصاب بسوء ، والى تخويفهم هذا أشير في القرآن الكريم : « ويخوّفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله ، فما له من هاد »[3] . يعني « ويخوّفونك (هؤلاء المشركون) يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ، ببراءتك منها وعيبك لها ، والله كافيك ذلك »[4] . و « كانت زنيرة روميّة، فأسلمت فذهب بصرها ، فقال المشركون : أعمتها اللات والعـزى » ، « وقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى »[5] .

---

١ Hu 518/27, Grimme, S. 67.
٢ الاستيعاب (٢٠٨/٢) ، (حاشية على الاصابة) ،
٣ الزمر ، ٢٩ ، الآية ٣٦ .
٤ تفسير الطبري (٥/٢٤) ، تفسير القرطبي (٢٥٨/١٥) .
٥ الاصابة (٣٠٥/٤) ، (رقم ٤٦٥) .